

الرسالة

قال : " الشافعي " : وضع الرسول من دينه وفرضه وكتابه الموضع الذي أبان - جل ثناؤه - أنه جعله علامة لدينه بما افترض من طاعته وحرّم من معصيته وأبان من فضيلته بما قرّن من الإيمان برسوله مع الإيمان به .

فقال تبارك وتعالى : " فَأَمِّنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا : ثَلَاثَةٌ " انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ . إِنَّ زَنْدَمًا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ (171) " [النساء] .

[ص 75] وقال : " إِنَّ زَنْدَمًا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ " (62) " [النور] .

فجعل كمال ابتداء الإيمان الذي ما سواه تدبّع له : الإيمان بالله ورسوله . فلو آمن عبد به ولم يؤمن برسوله : لم يقع عليه اسم كمال الإيمان أبدًا حتى يؤمن برسوله معه .

وهكذا سنّ رسول الله في كل من امتحنه للإيمان .

أخبرنا " مالك " عن " هلال بن أسامة " عن " عطاء بن يسار " عن " عُمَرُ بْنُ الْحَكَمِ " قال : " أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ بِجَارِيَةٍ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ رَقِيبَةٌ أَفَأَعْتِقُهَا ؟ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ : أَيْنَ الْإِنْسَانُ ؟ فَقَالَتْ : فِي السِّمَاءِ . فَقَالَ : وَمَنْ أَنْزَلَنَا ؟ فَقَالَتْ : أَنْزَلَتْ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ : فَأَعْتِقُهَا " (1) .

[ص 76] قال " الشافعي " : وهو " معاوية بن الحكم " وكذلك رواه غير مالك وأظن مالك (1) لم يحفظ اسمه .

قال " الشافعي " : ففرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله .

فقال في كتابه : " رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ . إِنَّكَ أَنْزَلْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " (129) " [البقرة] .

وقال جل ثناؤه : " كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ كَمَا أَرْسَلْنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمُ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ " (151) " [البقرة] .

[ص 77] وقال : " لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (164) " [آل عمران] .

وقال جل ثناؤه : " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2) " [الجمعة] .

وقال : " وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عِلَايَكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِطُّكُمْ بِهِ (231) " [البقرة] .

وقال : " وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113) " [النساء] .
وقال : " وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ . إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (34) " [الأحزاب] .
فذكر الكتاب وهو القرآن وذكر الحكمة فسمعت مَنْ أَرْضَى مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْقُرْآنِ يَقُولُ : الْحِكْمَةُ سَنَةُ رَسُولِ اللَّهِ .

وهذا يشبه ما قالوا أعلم .

لأن القرآن ذكر وأُتِبعَتْهُ الْحِكْمَةُ وَذَكَرَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ بِتَعْلِيمِهِمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ فَلَمْ يَجْزُ - والله أعلم - أن يقال الحكمة هاهنا إلا سنة رسول الله .
وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله وأن الله افترض طاعة رسوله وحثَّ على الناس اتباع أمره فلا يجوز أن يقال لقول : فرض إلا لكتاب الله ثم سنة رسوله .
لأننا وصفنا من أن الله جعل الإيمان برسوله مقروناً بالإيمان به .

[ص 79] وسنة رسول الله مَبْدِئُ نَزْعٍ عَنْهُ مَعْنَى مَا أَرَادَ دَلِيلًا عَلَى خَاصَّةٍ وَعَامَّةٍ ثُمَّ قَرَنَ الْحِكْمَةَ بِهَا بِكُتَابِهِ فَاتَّبَعَهَا إِيَّاهُ وَلَمْ يَجْعَلْ هَذَا لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ غَيْرَ رَسُولِهِ .

(1) موطأ مالك : كتاب العتق والولاء / 1269 مسند أحمد : باقي مسند الأنصار / 22645 سنن النسائي : كتاب الوصايا / 3593 .

(2) هكذا رُسم منصوباً بغير ألف وهو جائز على لغة بني ربيعة وقدمنا التعليق عليه